

قال وقفت على قبر المعتمد بن عباد في مدينة أغمات في حركة أعملتها إلى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة إحدى وستين وسبعمائة وهو بمقبرة أغمات في نشر من الأرض وقد حفت به سدره وإلى جنبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلم تملك العين دمعها عند رؤيتهما فأنشدت في الحال .

(قد زرت قبرك عن طوع بأغمات % رأيت ذلك من أولى المهمات) .

(لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا % ويا سراج الليالي المدلهات) .

(وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه % إلى حياتي لجادت فيه أبيات) .

(أناف قبرك من هضب يميزه % فتنتحيه حفيات التحيات) .

(كرمت حيا وميتا واشتهرت علا % فأنت سلطان أحياء وأموات) .

(مارئي مثلك في ماض ومعقدي % ألا يرى الدهر في حال ولا آت) .

ولما انكفأ ابن الخطيب رحمه الله راجعا من سفرته هذه وانتهى إلى سلا أقام بها منتبذا عن سلطانه رافضا للملك وأسبابه طول مقامه بالمغرب على ما ذكره إن شاء الله بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله .

قد قدمنا أن ابن الخطيب كان قد عزم على التخلي عن الدنيا والانقطاع إلى الله تعالى وأنه اختار أن يكون مقامه بسلا لكونها يومئذ أعون له على مراده من غيرها حسبما يؤخذ ذلك من مواضع من كلامه من ذلك أنه لما وصف أمصار الأندلس والمغرب في مقاماته المشهورة وصف مدينة سلا بقوله العقيلة المفضله والبطيحة المخضلة والقاعدة المؤهلة والسورة المفضله ذات الوسامة والنضارة والجامعة بين البداوة والحضارة معدن القطن والكتاب والمدرسة والمارستان والزاوية كأنها البستان والوادي المتعدد الأجفان القطر الأمين عند الرجفان والعصير العظيم الشأن والأسواق السارة حتى برقيق الحبشان اكتنفها المسرح والخصب الذي لا